

## شوق الناس

## مجتمع الجثة ما بعد الخراب

## ياس خضير البياتي

## الإمارات



أستطيع ان أقول بلا مقدمات تفصيلية، هناك كتب تقرأها ولا تجد فيها كيمياء الحياة، فلا لون فيها ولا رائحة ولا طعم، وهي السائدة اليوم مع الأسف، بينما هناك كتب تجر لك الحياة بطريقة علمية، وتكشف لنا قيما جديدا من انقاض الظواهر الاجتماعية، وتؤسس لنا خريطة طريق للنجاة من مشكلات العصر. ويؤسفي ان أقول ان هناك كتبا مهمة، وخاصة في علم الاجتماع صدرت ولم يكشفها الريف القاصد عن محتوياتها، رغم خطورة الموضوعات واهميتها في مجتمع تفككت روابطه الاجتماعية، وانهارت قيمه الاجتماعية، وأسحبت منه صفة التحضر لصالح عباءة القيم الريفية. كأننا نرى المدينة العراقية اليوم بطابع ريفي، حيث تصغر المدينة العراقية المنحصرة بتقاليد الريف القاصد مع عالم الاجتماع العراقي د. فجر جودة النعيمي المقيم في لندن (ثقافة الموت-صورة المجتمع العراقي في مرحلة ما بعد الخراب) يفجر قنبلة فكرية في تحليله للظواهر الاجتماعية في المجتمع العراقي، وهو كتاب في دراسة الشخصية العراقية وقيمه الاجتماعية بعد احتلال العراق عام 2003 مع دراسة أسباب ظاهرة الإحباط الاجتماعي لدى الشباب، والنزعة البريوية في الثقافة العراقية. وأهميته تكمن في رصد للواقع الاجتماعي، وتفكيك الظواهر المجتمعية، وتشريح الشخصية العراقية بطريقة مبتكرة بمنهج علمي دقيق، وخروجه باستنتاجات عملية ذات بعد سياسي واجتماعي، مقرونة بدراسات ميدانية ذات بعد وصفي وتحليلي، مقرونة بدلائل واقعية، ويرمون حياتية تعكس حقيقة سلوك الانسان العراقي في مواجهة السخط والحياة.

ما يثيره الكتاب، وما يفخره من حقائق مبررة، تتجسد في الحقيقة التي يراها الباحث من ان الاحتلال ورجال السياسة استطاعوا ان يحولوا المجتمع من بناء شامخ بقيم نبيلة الى جثة باردة ماتت من سنين، وهم يعلمون ان الجثة لا تمكح خو الخنض او الاعتراض على نوع القبور التي تلقى فيها، وبسبب معرفتهم بان الجثث لا تملك حرارة الاحياء تتفنونها في تنويع القبور، حتى لم يعد أحد يحلم بحفرة في باطن الأرض، صارت الحفر في بطون الكلاب الجائعة، وفي قعر المزابل وعلى الأرصفة. كما يرى المؤلف بان الصورة المأساوية لمنظومة القيم وهي تحرف او تتراجع او تتدنّى او تسفلان تعني ان المجتمع العراقي في أزمة، انه في الواقع في خطر، ولو كان هناك شيء ابعد غورا من الخطر لحذرنا منه، ولكن ليس وراء الخطر الا الخراب، ويبدو اننا في مرحلة ما بعد الخراب. والحق ان خطوط الدفاع عن القيم الاجتماعية التي كنا نحتكم اليها، ونحتمي بها قد تساقطت تباعا تحت ضغط المصالح والأهواء والمنافع التي جاء بها القادمون الجدد فتحوا الباب لن شاكلهم من المنحرفين والسوقة وارباب السوابق، وخريجي معاهد السوء الذين اسسوا لمنظومة جديدة تمجد النفاق الاجتماعي والغش والكذب والخديعة والخيانة والفساد، وكل ما من شأنه الاساءة لمكارم الاخلاق.

ومن حقنا ان نتساءل، ونحن نقرأ كتاب النعيمي، ان صناعة التجهيل التي ابتكرت كمنهج حياتي لأخضاع الفرد والسيطرة عليه، هي التي أيقظت في المجتمع إحساس البلادة في فهم الدين، وثوروا نزعاته الطائفية، واربعوه بالأموات ليحرقوه بمادة العنف والكراهية، ليصبح مريضا ساديا من أجل البقاء، وهي المادة الخام التي تسج شرورا لا عجزا مشلولا ومخدولا، وصار النبيء سيدا والشريف دنيا، فانتقلت الدنيا انقلابا، وصار اهله اشبه بفصيل من البغايا تقوده عاهر محترفة. نعم صنعنا ميثولوجيا للتخريب، واعرافا مبتكرة لقتل الدين، فبدانا بالجهل لنتتبع بالتجهيل، شعب غريب في طعامه وقبولته وافكاره التناقضة حد الحزن، لا يريد ان يتعلم من الحاضر، ومغرم بالماضي شجرة الحاضر، وان ياكل ثمارها، بل يجني منها ما هو فاسد ومعلب بالبيروانيوم.

إذا ثار اشتعل سريعا وانطلق سريعا كأنه يجسد فكرة الازدواجية، فاي شعب هذا الذي نريد منه ان يسقط اصنامنا الدينية، وهو منغمس بين الحنين للماضي والعاشق لطقوسه وحرانه، والمتردد في فهم الحاضر الناكر لمنجزاته؟ بالمقابل هل يمكن القول اجتماعيا إن شيوع ظاهرة القهر هو الذي دفع الانسان العراقي إلى التعلق بالباطل الشعبي أو الإيمان المفرط بالأمّة والشيوخ والأبطال الصالحين، ذلك لأنه يتطلع إلى منقذ يخلصه من الحن والرزايا التي تحاصر من كل حذب وصوب. يبقى كتاب النعيمي، الملمّ بالتفسيرات العلمية لثقافة الموت والعنف والخراب والإحباط الذي أصاب المجتمع العراقي مرجعا علميا رصينا، وشهادة اجتماعية وسياسية لأسباب تفكك المجتمع، وانهيار قيمه ومنظوماته الاجتماعية. مثلما هو كتاب يستحق المناقشة والقراءة، لأسلوبه العصري الرشيق، ولقته العلمية، ورمصانة منهجه العلمي، ودقة عباراته ورموزها التي كررها أكثر من مرة: ان اسدا يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد!

معاركة الرئاسة بمرشح عن حزب مقابل مرشح حزب آخر أو حتى هنالك مرشح عن حزب ثالث مكتسب المسألة الجدية وهذا أمر مطلوب، أما عدا ذلك وعلى نحو ما إنفردت به تونس فإن ما حصل هو أن الرئاسة مجرد طريفة يتعقبها 24 صيدا وصياداتان. ومثل هذا الأمر كان يحتاج إلى الكثير من التحبه لكي تحظى الرئاسة جمهورية العهد الجديد في تونس بالجدية، ويكون خامس رؤساء جمهورية تونس منذ إعلان استقلالها يوم 25 يوليو/ تموز 1957 وحتى يوم إعلان رئاستها الخامس أواخر هذا الشهر (سبتمبر/أيلول 2019) بعد بورقراطية الذي كاد يعمر رئاسيا وين على الذي كان يخالجه الأمر نفسه وفؤاد المرع العابر رئاسة بسلام والمنصف المرزوقى الهابط بمظلة لولا أن نسج علماني هو الذي يسبغ هذا البلد الأخضر في فضاء الاستقرار

وعندما سنتتهي عملية الاقتراع وتذاع النتائج وتكون الفوراق مدعاة نخدر، هل سنستكرر هذه العملية أم هل ان صحوة سننشأ بفعل الصدمة أو حتى بفعل التعمق في تحليل التجربة، سنحتمل الأخراب على أن تأخذ بصيغة الإدماع بحيث يكون هناك حزبان أو ثلاثة على الأكثر تتنافس على مراكز القيادة في الدولة وتترك بذلك انطباعاً بان هناك جدية وأن للديمقراطية قواعد ومفاهيم تتجاوز مسألة أن المناصب ومنها انتخابات رئاسة الدولة هي نوع من التباهي بحيث يقال هذا المرشح لرئاسة الجمهورية يستحق أو لا يستحق، يفوز أو لا يفوز، لولا ليست هكذا وإنما فقط القول بأنه مرشح رئاسي، وعندما تخاض

إجراء انتخابات رئاسية تأتي بعهد يبدأ من حيث إنتهى عهد قائد السبسي حتى حدث ما لم يكن متوقعا حدوثه. كل حزب يريد الرئاسة له.

وحيث ان الأحزاب في تونس كثيرة وأن الشخصيات المستقلة والفاعلة في المجتمع التونسي تتطلع إلى خوض التجربة الرئاسية، لذا كان هذا الكم من المرشحين للرئاسة وهو رقم قياسي لم يسبق تسجيله في أي جمهورية عربية بدءا بلبنان والنوام الديمقراطي والحزبي المتوسطي والليبرالي والديني لتونس مرورا بسائر الجمهوريات العربية.

هل إن النظام الجمهوري هان لدرجة أن خوض الغمار للرؤوس مسألة مزاجية بمعنى هنالك حزب يستقبل أعدادا من المواطنين وما دام هنالك سباق رئاسي فلماذا لا يخوضه. وعندما سنتتهي عملية الاقتراع وتذاع النتائج وتكون الفوراق مدعاة نخدر، هل سنستكرر هذه العملية أم هل ان صحوة سننشأ بفعل الصدمة أو حتى بفعل التعمق في تحليل التجربة، سنحتمل الأخراب على أن تأخذ بصيغة الإدماع بحيث يكون هناك حزبان أو ثلاثة على الأكثر تتنافس على مراكز القيادة في الدولة وتترك بذلك انطباعاً بان هناك جدية وأن للديمقراطية قواعد ومفاهيم تتجاوز مسألة أن المناصب ومنها انتخابات رئاسة الدولة هي نوع من التباهي بحيث يقال هذا المرشح لرئاسة الجمهورية يستحق أو لا يستحق، يفوز أو لا يفوز، لولا ليست هكذا وإنما فقط القول بأنه مرشح رئاسي، وعندما تخاض

والتحرش المؤذي في احوال شسعوب دول خسارج الحدود وحكومات تبدو لافتة وموضع إستغراب، فإن هذه الهجمة من الصيادين على الطريدة الرئاسية التونسية تثير الإستغراب كونها غير مسبوقة في أي جمهورية عربية.

فالمألوف هو ان يكون هنالك مرشح في الحد الأدنى (على نحو التوافق المسبق من جانب صانعي الرئاسة في لبنان وهم أميركا والطربرك الماروني ثم الرجعات الإسلامية بتذوق طوائفها وهذا كان قبل أن يختصر حزب الله هذه الطوائف في مقامة" بنسبة ملحوظة) وثلاثة في الحد الأقصى كما في مصر بعد إزالة عهد مبارك خلافا لتداولية الرئاسات الجزرال الطموح زين العابدين بن علي إنقض على الرئيس بورقراطية ترتيب مسبق بين الرئيس المنتهية ولايته وبين من يتخاره أو بزكيه لكي يكون الرئيس من بعده بنافسه مرشح أو إثنان.

هذا حدث في موريتانيا الشقيقة المغربية لتونس وإنتهى الأمر على أهذا حال. وهذا كان يتطلع إليه قبل أن يسوء وضعه الصحي الرئيس عبدالعزیز بوتفليقة ثم تتطور الأمور بفعل إنتفاضة شعبية أكثر حدة من الإنتفاضة التونسية وقريبة الشبه بالإنفاضة السودانية وينتهي الرئيس في عزلة مفروضة عليه وتبقى الجزائر من دون رئيس إلى أن تنضج معادلة كتلك التي حدثت في السودان وبذلك وضعت الإنتفاضة صولاتها وجولاتها، وانصرت إلى المجلس السديدي حكومة رأي عام وحصمة نسائية غير مسبوقة حدوثها في المجلس وفي الحكومة.

ما إن استقر التشاور على ضرورة

التوانسة حوله على مدى عقدين ثم بدا الإجماع بتفكك مع دخول الخصوصيات العائلية في العموميات الرسمية. وبسبب ذلك التداخل بين العائلي والرسمي وعدم إرتياح العامة إلى ممارسات الخاصة نشأت ونمت بالتدرج ظاهرة الرئاسة الأبدية حيث نصّب بورقراطية نفسه أو نضوه رئيسا مدى الحياة، وهي فكرة إستهوت الجانب العائلي الخاص في السبب الرئاسي المصري وكاد يأخذ بها الرئيس حسني مبارك وكان رفاق الرئيس (الراحل) محمد مرسي يخططون لها من بعده.

كما إستهوت وبالشظروف والدواعي نفسها البيت الرئاسي الجديدة هي التي ستؤسس لدولة مستقرة يستعيد فيها الحكم التوازن الذي طالما عاش نوازع رئاسية متنوعة من بينها النزاع البورقراطي الذي أسس ظاهرة الرئاسة الأبدية وإن كانت لم تلق التفضيل، واكتفى بالثلاثين سنة التي أمضاها رئيسا جامعاً

يحتار المرء في هذه الحالة الرئاسية التي تعيشها تونس. هل في جزء من نهوض مغاربي لم يكتمل فصولاً ما هي إحتفالية صيد للطريدة الرئاسية تكاثرت عند القناصين لها إذ وصل الرقم إلى 26 يمثلون كل الأطياف التونسية 26 من علمانية ودينية.

ومن ضمن المشركين في هذا "الماراتون" سيدتان لا يبدو تطلعهما إلى التروؤس أصراً مستغرباً في بلد تتفاعل فيه الثقافات وإلى درجة أن التونسي مسكون بأوروبيته بمقدار إعترازه بعروبته وإسلامته.

من حيث المقارنة بالذي عاشته تونس رئاسياً في زمن مضى يمكن القول إن الحالة الرئاسية الجديدة هي التي ستؤسس لدولة مستقرة يستعيد فيها الحكم التوازن الذي طالما عاش نوازع رئاسية متنوعة من بينها النزاع البورقراطي الذي أسس ظاهرة الرئاسة الأبدية وإن كانت لم تلق التفضيل، واكتفى بالثلاثين سنة التي أمضاها رئيسا جامعاً



## فؤاد مطر

بيروت

## لطفي نعمان

القاهرة



## مفاوضات الجنوب اليمني بين الأمس واليوم

وتطوراتها المؤسسة، دولة الأستان محمد سالم باسندوة رئيس وزراء اليمن الأسبق (2011-2014 م) المناضل الوطني والعضو القيادي بجبهة التحرير، دون شهادته على تلك الوقائع في كتابه "قضية جنوب اليمن المحتل في الأيام المتحدة.. نكريات، وثائق، خاطر، بدء من جهود القاهرة ورعايتها للحوار بغية تحقيق التفاهم بين القيادة الوطنيين، والتلاحم بين الفرقاء في الجنوب تسهياً لنجاح بعثة الأمم المتحدة في تنفيذ القرارات الأممية الصادرة حينذاك.

وتقرر إجراء محادثات بين الجبهتين عبر ممثلينهما، والتفق الممثلان عبدالقوي مكايي (التحرير) وقيصل الشعبي (القومية) على أن يكون وفداهما مخولين بالكامل لفتح اتفاق بشأن الوحدة الوطنية، وتشكيل حكومة مركزية انتقالية تستلم السلطة من المملكة المتحدة، وصياغة برنامج عمل لفترة الانتقال، ووضع دستور مؤقت لتطبيقه أثناء المرحلة الانتقالية- أعقب ذلك بعض القوى اليمنية:

وإن الشيء بالشيء يُذكر فإن تدافع الأحداث بعثت على استعادة محطة حوار واتفاق وحرب سابقة شوهها جنوب اليمن عام 1967م قبل نيل ضيقة، وإقصاء سياسي، ودور جنوب اليمن الواحد، منفصلاً كان أم بقي موحداً، لا يشذ مساره عن هذه القاعة، ولا أن على ذلك مما شهدته المدن اليمنية الجنوبية خلال الشهر المنصرم في الوقت الذي تدعو فيه المملكة العربية السعودية أطراف القتال جنوبي اليمن: الحكومة الشرعية الجنوبية والمجلس الانتقالي الجنوبي (بعدا كانا جبهة واحدة، قبل

منذ انطلقت تحضيرات وفعاليات مؤتمر الحوار الوطني اليمني 18 مارس 2013، حتى اختتمت بصور مخرجات الحوار الوطني بوثيقة العهد والاتفاق الموقعة في العاصمة الأردنية عمان، فبراير 1994م وأعقبها حرب صيف 1994م.

هكذا تتضح القاعدة اليمنية الفريدة المتمثلة خطوطها في: إجراء حوار، توقيع اتفاق، وقوع الحرب ثم خروج أحد أطراف (الحوار، الاتفاق، الحرب) طالما دارت رحاها في نطاق ضيق قرب أو ان خروج هذا الطرف وقد فقد بريقه وحموره، ويقاء ذلك الطرف مع بروز نوازع محلية ضيقة، وإقصاء سياسي، ودور جنوب اليمن الواحد، منفصلاً كان أم بقي موحداً، لا يشذ مساره عن هذه القاعة، ولا أن على ذلك مما شهدته المدن اليمنية الجنوبية خلال الشهر المنصرم في الوقت الذي تدعو فيه المملكة العربية السعودية أطراف القتال جنوبي اليمن: الحكومة الشرعية الجنوبية والمجلس الانتقالي الجنوبي (بعدا كانا جبهة واحدة، قبل

منذ انطلقت تحضيرات وفعاليات مؤتمر الحوار الوطني اليمني 18 مارس 2013، حتى اختتمت بصور مخرجات الحوار الوطني بوثيقة العهد والاتفاق الموقعة في العاصمة الأردنية عمان، فبراير 1994م وأعقبها حرب صيف 1994م.

هكذا تتضح القاعدة اليمنية الفريدة المتمثلة خطوطها في: إجراء حوار، توقيع اتفاق، وقوع الحرب ثم خروج أحد أطراف (الحوار، الاتفاق، الحرب) طالما دارت رحاها في نطاق ضيق قرب أو ان خروج هذا الطرف وقد فقد بريقه وحموره، ويقاء ذلك الطرف مع بروز نوازع محلية ضيقة، وإقصاء سياسي، ودور جنوب اليمن الواحد، منفصلاً كان أم بقي موحداً، لا يشذ مساره عن هذه القاعة، ولا أن على ذلك مما شهدته المدن اليمنية الجنوبية خلال الشهر المنصرم في الوقت الذي تدعو فيه المملكة العربية السعودية أطراف القتال جنوبي اليمن: الحكومة الشرعية الجنوبية والمجلس الانتقالي الجنوبي (بعدا كانا جبهة واحدة، قبل

## الإحتلال الإسرائيلي وهدم المنازل

وهكذا فإن مثل هذه العقوبات الجماعية ضد السكان المدنيين العزل يعتبر جريمة حرب ملظما هو جريمة ضد الإنسانية، وهي انتهاك صارف لقواعد القانون الدول بما فيها حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره وعلى أرض وطنه وبناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وإذا كان هذا الوجه القانوني لعدم هدم البيوت يعتبر من "الجرائم ضد الإنسانية" وكل ما يتعلق بإبعاد السكان قسراً أو نقلهم بالقوة والإهراء من مناطق سكنهم وهو جريمة حرب في الآن، حيث تنص اتفاقيات جنيف إن إلحاق تدمير واسع النطاق بالممتلكات والاستيلاء عليها دون أن تكون هناك ضرورة عسكرية تبرر ذلك وبإمخالفة للقانون وبطريقة عابثة يعتبر جريمة حرب.

وتحمي اتفاقية جنيف الرابعة الإنساني الذين يجدون أنفسهم في لحظة ما وبأي شكل كان في حالة قيام نزاع أو احتلال تحت سلطة طرف في النزاع ليسوا من رعاياه أو دولة احتلال، وهذا تصبح حماية المواطنين الفلسطينيين تحت الإحتلال الإسرائيلي واجباً قانونياً على دولة الإحتلال ويحظر على دولة الإحتلال تدمير الممتلكات الخاصة التابعة أو المنقولة التي تتعلق بالأفراد والمجمعات والقواعد الاتفاقية علماً بان ليس للمحكمة الإسرائيلية العليا التي اتخذت قراراً بالسماح بهدم المنازل سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة. كما ان ليس من حق سلطة الإحتلال بناء جدار عازل على اراضي لا تعود لها أصلاً، فما بالك إذا كانت محتلة بالقوة العسكرية. وقد زعمت إسرائيل أنها تبني هذا الجدار كسياج دفاعي في

الضغوط التي مورست على السلطة الوطنية الفلسطينية اقتصادياً ودبلوماسياً وإنسانياً وامنياً. وإذا كان مسألة هدم البيوت وإجبار سكانها على مغادرتها جانب إنساني يتعلق بالحق في السكن في أرض آبائهم واجدادهم وهم أهل البلاد الأصليين، طبقاً لقواعد الجمعية العامة للأمم المتحدة حول حقوق الشعوب الأصلية الصادرة في العام 2007 فإن له ابعاداً قانونية دولية تتعلق بقواعد القانون الدولي المعاصر والقانون الدولي الإنساني والشرعية الدولية لحقوق الإنسان، إضافة إلى النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، لما تشكلت من انتهاكات سافرة من جانب المحكمة العليا الإسرائيلية، وهو ما ينبغي أن يتم متابعته دولياً من جانب الفلسطينيين والعرب، على الصعيد الرسمي أو على صعيد

المجتمع المدني ومؤسساته الرابعة والإقليمية والعربية. اتفاقية جنيف فالأمم المتحدة تقر بان الأراضي التي احتلتها إسرائيل إثر عدوان 5 يونيو (حزيران) العام 1967 هي اراض محتلة بما فيها الضفة الغربية وضممتها القدس الشرقية، إضافة إلى قطاع غزة، وهذا يعني أن اتفاقيات جنيف لعام 1949 وملحقها بروتوكولي جنيف لعام 1979 تنطبق عليها، ولاسيما الاتفاقية الرابعة، وحسب القانون الدولي لا يجوز الاستيلاء على الأراضي طبقاً للاحتلال أو القوة المسلحة، وقد ورد في مضمون القرار 242 الصادر بعد عدوان الخامس من يونيو (حزيران) العام 1967 وهو ما أكدته محكمة العدل الدولية في رايها الاستشاري الصادر في 9 يوليو (تموز) العام 2004.

بعضهم إلى الاعتداء لأنهم رفضوا مغادرة ومنازلهم. وتأتي هذه الخطوة وسط تجاهل دولي، لاسيما بعد منح واشنطن إنذار السكان بمغادرتها وسط حماس وهتافات من جانب الجند الذين نفذوا القرار العسكري بفرح غامر، وهكذا تشرد أكثر من 500 مواطن فلسطيني، كما تعرّض

مبان سكنية تضم أكثر من 100 شقة في وادي الحمص (بلدة صور باهر). وتوجهت الجرافات إلى المنطقة وقامت بهدم المنازل بعد إنذار السكان بمغادرتها وسط حماس وهتافات من جانب الجند الذين نفذوا القرار العسكري بفرح غامر، وهكذا تشرد أكثر من 500 مواطن فلسطيني، كما تعرّض

مبان سكنية تضم أكثر من 100 شقة في وادي الحمص (بلدة صور باهر). وتوجهت الجرافات إلى المنطقة وقامت بهدم المنازل بعد إنذار السكان بمغادرتها وسط حماس وهتافات من جانب الجند الذين نفذوا القرار العسكري بفرح غامر، وهكذا تشرد أكثر من 500 مواطن فلسطيني، كما تعرّض



## عبد الحسين شعبان

بيروت

قبل سنوات خلت اصدرت السلطات الإسرائيلية قراراً عسكرياً بمنع البناء على جانبي الجدار العازل الذي اقيمت على إنشائه في المنطقة التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية بمسافة 250 متراً، وقد اصدرت المحكمة الإسرائيلية العليا قراراً في شهر يوليو (تموز) 2019 يقضي بهدم